

اللسانيات ونظريات الترجمة:

إن الترجمة ظاهرة فريدة ومعقدة، وهذا ما دفع الكثير من الباحثين والمنظرين إلى تناولها وفق أسس العلوم المختلفة، وتبعاً لمناهج مختلفة، وقد مرت عملية التنظير للترجمة بمراحل ثلاث رئيسية هي:

- مرحلة ما قبل اللسانيات: يشار بها إلى النظريات التي ظهرت قبل القرن العشرين، وكانت هذه النظريات تطرح نظريات فلسفية، تتناول تجارب المترجمين بهدف التعريف بالترجمة، وفتح آفاق لدراساتها، وتمتد من ظهور علم اللسانيات حتى بدايات السبعينات من القرن الماضي، وتمتاز هذه المرحلة بالتناول العلمي التحليلي للترجمة بوصفها ظاهرة يمكن تناولها بصورة علمية وفق علم اللسانيات وأأسه.
- مرحلة اللسانيات: ظهرت مع مطلع القرن العشرين، وامتدت حتى الستينات منه متضمنة نظريات تقوم على التحليل العلمي لظاهرة الترجمة وفق قواعد اللسانيات، وفي هذه المرحلة تركز تناول الترجمة على أسس لغوية وفلسفية، وشهدت اجتهادات استنتاجية أوردها المترجمون أنفسهم نتيجة لخبراتهم، وتعاملهم مع النصوص التي ترجموها، وتمتد هذه الفترة من بدايات طرح قضية الترجمة، وحتى بدايات القرن العشرين وظهور الأسس المؤطرة لعلم اللسانيات.
- مرحلة ما بعد اللسانيات: تبدأ من سبعينات القرن العشرين حتى وقتنا هذا، وقد ظهرت خلالها نظريات تمزج بين النظريات السابقة، وتطرح نظريات للعلاقة بين الترجمة واللسانيات، وظهرت خلالها اجتهادات وطروحات حاولت أن تمزج أو تقارب أو تقارن بين التوجهات المختلفة التي شهدتها المرحلتين السابقتين، وظهرت نظريات جديدة لتأطير ظاهرة الترجمة من بينها النظرية النصية، ونظرية التواصل والنظرية التقريبية.

قدمت اللسانيات مساهمات مهمة في صياغة نظريات الترجمة، ويعود الفضل إلى اللسانيات في ظهور التعريفات الأولى الموضحة لعمليات الترجمة، بينما لم تتجه أي علوم أو دراسات سابقة لعلم اللسانيات لتناول موضوع الترجمة وقضاياها وكان المطروح بعض نصائح وتوجيهات مثل شيشرون Cicéron الذي نصح بالاهتمام بترجمة المعنى وليس الكلمات، أو درايدن Dryden الذي تحدث عن الترجمة الأنيقة القائمة على ألا يقوم المترجم بترجمة الكلمة بكلمة، وقد أشار رومان ياكوبسون Roman Jakobson إلى أن التكافؤ في الاختلاف هو المسألة الأساسية في اللغة، وموضوع اللسانيات الوحيد، فأصبحت الترجمة مجالاً يتعلق باللسانيات العامة، ثم أصدر كاتفورد Catford كتابه نظرية لسانية في الترجمة A Linguistic Theory of Translation ، موضحاً أن الترجمة مسألة تتعلق باللغة، واللسانيات تدرس اللغة، وبالتالي فإن الترجمة موضوع من موضوعات اللسانيات، وتبعاً لذلك وضع مؤلفه تحت عنوان: دراسة في اللسانيات التطبيقية An Essay in Applied Linguistics عام 1964، ليبدأ التعامل مع الترجمة بوصفها علم يخضع لقواعد علوم اللسانيات، وبينما كان التعامل مع

الترجمة لا يزال في طور التنظير حتى أعوام قليلة قبل أن يطرح كانتفورد ونيدا مؤلفيهما عام 1964، لكن خضوع الترجمة المطلق لعلم اللسانيات لم يلق الترحيب بين المنخرطين في دراسات الترجمة وتطبيقاتها، فأصدر آدمون كيري Edmond Cary كتابه (كيف ينبغي أن نترجم؟) عام 1958 موضحاً أن الترجمة الأدبية ليست عملية لسانية، إنما عملية أدبية، وأيده في ذلك فيني وداربلنت J.-P. Vinay et J. Darbelnet في كتابهما الأسلوبية المقارنة للفرنسية والإنجليزية حيث أوردا: "أننا غالباً ما نقرأ لمترجمين مجربين أن الترجمة فن، وهذه العبارة تتطوي على جزء من الحقيقة، تهدف مع ذلك إلى تحديد طبيعة موضوعنا تحديداً تعسفياً، فالترجمة في الواقع نسق دقيق، له تقنياته ومشكلاته الخاصة"، ويؤكد جورج شتاينر Georges Steiner في كتابه (بعد بابل) (Après Babel) عام 1975، أن الترجمة (لاسيما ترجمة النصوص الأدبية) لا تختزل إلى البعد اللساني فقط.

كما أن هناك من حاول أن يمزج بين النظريات المتعددة التي وصفت الترجمة مثل جورج موناك Georges Mounin، حيث تحدث في كتابه (المشكلات النظرية في الترجمة) 1963 موضحاً أن "الترجمة تبقى فناً كالطبخ، ولكنه فن يقوم على علم"، ويرجع تاريخ أول المصنفات التجريبية إلى عام 1944 حيث وضع ألفرد مالبلان Alfred Malblanc كتابه (الأسلوبية المقارنة للفرنسية والألمانية)، ويفترض هنري ميشونيك Henri Meschonnic في كتابه (من أجل الشعرية) بوجود شعرية للمترجم وأشار إلى أن: "نظرية الترجمة ليست لسانيات تطبيقية، إنها حقل جديد في نظرية الأدب وممارسته، وتقوم أهميتها المعرفية على مساهمتها في ممارسة نظرية للاتحاد بين دال ومدلول خاص بالممارسة الاجتماعية التي تمثلها الكتابة، وقد تناول هنري ميشونيك التمييز بين "أهل المصدر" و"أهل الهدف" منكرًا لأي تمييز بين اللغة المصدر واللغة الهدف، وأشار إلى أن الترجمة لا تعرف بأنها انتقال من نص الانطلاق إلى أدب الهدف، أو بالعكس انتقال قارئ الهدف إلى نص الانطلاق، وإنما بأنها عمل في اللغة، وإزاحة، وقد أدت الطروحات الكلاسيكية التي تناولت قضية الترجمة، وطرحت أطر نظرية متضمنة ثنائيات تقليدية مثل: المصدر والهدف، و الحرفية والجوهر، والشكل والمضمون، والأسلوب والمعنى، والأصل والترجمة، والمؤلف والمترجم.